# وصف ابن بشر للامام سعود

وصف ابن بشر الإمام سعود وصفاً جيـداً ، تناول فيه شخصيته وسياسته وقضاءه وأساليبه في الحروب وموارده وطراز معيشته الخ ... وهـا نحن ننقل هذا الوصف بشيء يسير من التصرف ، وذلك أننا جمعنا في موضع واحد ما كان متفرقاً من أقوال ابن بشر ، مع أنها تدور حول موضوع واحد ..

**عهـــده :**

في عهد سعود ( أمنت البلاد ، وطابت قلوب العبـــاد ، وانتظمت مصالح المسلمين بحسن مساعيه ، وانضبطت الحوادث بين مراعيه ، فبلغ من الشرف منتهاه ، ومن سنام المعالي أعلاه .

**أخذه عن الشيخ ومعرفته بالدين وتقواه وحبه لأهل العلم وطلبته :**

وكانت له المعرفة التامة في تفسير القرآن ، أخذ العلم عن الشيخ محمـــد بن عبد الوهاب، أقام مدة سنين يقرأ عليه، ثم كان يلازم على مجالس الدرس عنده، وله معرفة في الحديث والفقه وغير ذلك ، وكان آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، كثير الحض على ذلك في مجالسه ومراسلاته للمسلمين ، محبباً إليه العـلم وطلبته وكان يعظمهم ويكرمهم .. ويلزم أهل البلدان بإكرامهم وتعظيمهم .

**نصائحه ووصاياه :**

.. إذا كتب نصيحة لجميع رعاياه أتى فيها بالعجب العجاب ، وبهرت عقول أولي الألباب .

وكان أول ما يصدر النصيحة بتقوى الله تعالى ، ومعرفة نعمة الإسلام ، ومعرفة التوحيد ، والاجتماع بعد الفرقة ، ثم الحض على الجهاد في سبيل الله ، ثم الزجر عن جميع المحظورات من الزنا والغيبة والنميمة وقول الزور والمعاملات الربوية وغير ذلك، وكل نوع من ذلك يأتي عليه بالأدلة من الكتاب والسنة وكلام العلماء ، فمن وقف على شيء من مراسلاته ونصائحه عرف بلاغته ووفور علمه .

**كلامه :**

وإذا تكلم في المحافل بنصيحة أو مذاكرة بهر عقل من لم يكن قد سمعه ، وخالَ في نفسه أنه لم يسمع مثل قوله وحسن منطقه .

**تيقظه وهمته وهيبته .. مع تواضعه ومداعبته لخواصه :**

وكان متيقظاً ، بعيد الهمة ، يسّر الله له من الهيبة عند الأعداء والحشمة في قلوب الرعايا ما لم يرَه أحد .

عليه الهيبة العظيمة التي ما سمعنا بها في الملوك السالفة ، بحيث ان ملوك الأقطار لا تتجاسر على مراجعته الكلام ، ولا ترمقه بأبصارها إجلالاً له وإعظاماً .. وهو ، مع ذلك ، في الغاية من التواضع للمساكين وذوي الحاجة ، وكثير المداعبة والانبساط لخواصه وأصحابه .

**عقله ومشورته :**

وكان ذا رأي باهر وعقل وافر، ومع ذلك إذا أهمّه أمر أو أراد إنفاذ رأي أرسل إلى :

١ — خواصه من رؤساء البوادي واستشارهم .

٢ — فإذا أخذ رأيهم وخرجوا من عنده ، أرسل إلى خواصه وأهل الرأي من أهل الدرعية ثم أخذ رأيهم .

٣ — فإذا خرجوا ، أرسل إلى أبناء الشيخ وأهل العلم من أهل الدرعية واستشارهم ، وكان رأيه يميل إلى رأيهم ويظهر لهم ما عنده من الرأي.

**ثباته وشجاعته وحبه الجهاد وانتصاره الموصول :**

وكان ثبتاً شجاعاً في الحروب ، محبباً اليه الجهاد في صغره وكبره ، بحيث انه لم يتخلف في جميع المغازي ..

ويغزو معه جملة من العلماء من أهل الدرعية وأهل النواحي ، ويستخلف في الدرعية أحد بنيه وكثيراً ما يستخلف ابنه عبد الله ، ويغزو معه إخوته وبنوه وبنو عمه عبد الله، كل واحد من هؤلاء بدولة عظيمة من الخيل والركاب والخيام والرجال وما يتبع ذلك من رحائل الأزواد والأمتاع للضيف وغيره .

فقام في الجهاد وبذل الاجتهاد وفتح أكثر البلاد في أيام أبيه وبعد موته .

وأعطي السعادة في مغازيه ، ولا أعلم انه ُهزم له راية ، بل نصر بالرعب الذي ليس له نهاية ، وكل أيامه مواسم ومغازيه مغانم ، وقذف الله الرعب في قلوب أعدائه ، فإذا سمعوا بغزاه ومعداه هرب كل منهم وترك أباه وأخاه وماله وما حواه ..

**سيرته في المغازي :**

فأما سيرته في المغازي ، فكان إذا أراد أن يغزو إلى جهة الشمال أظهر أنه يريد الجنوب أو الشرق أو الغرب ، وإذا كان يريد جهة من تلك الجهات ورّى بغيرها ..

وأرسل إلى جميع البوادي « حواويش رجال » يحوشونهم من أقطار الجزيرة للغزو معه ، واعدهم يوماً معلوماً على ماء معلوم ، فلا يتخلف أحد منهم عن ذلك اليوم ولا ذلك الموضع ، وواعد أيضاً جميع المسلمين من أهل البلدان موضعاً معلوماً ، فسارع الجميع اليه قبله .

« وكان عنده من المدافع ستون مدفعاً منها ثلاثون كبار . وكان الذي يتبعه في مغازيه من الجيوش والخيل الجياد من النواحي والبوادي من جميع القبائل لا يحصيها العد ولا يحصرها الحد ، فلو تخلف أحد من البوادي بفرسه عن الغزو أو تخلف من تعين عليه الأمر من رؤسائهم أو من دونهم ، أُدّب أدباً بليغاً وأُخذ من ماله نكال ، وإذا أراد أن قبيلة من قبائل نجد العظام كمطير وعنزة وقحطان

أو غيرهم ، وهم في أقصى الشمال ، يرحلون وينزلون في الجنوب أو الشرق أو الغرب لم يمكنهم مخالفته »[1] .

ثم يركب من الدرعية ، إما يوم الخميس أو يوم الاثنين ، فيخرج النـاس قبله بيومين أو ثلاثة ، وبعده بيومين أو ثلاثة .

وفي كل هـذه الأيام والوادي يتسع ويضيق ، لا يجد السالك فيه طريقاً من عظم مـا يمشي فيه من الخيل الجياد والنجائب العمانيات الثمينة ورحائل الخيل والأمتاع والأزواد .

وتخرج رحائل زهبته وزهـابه وآلة ضيفه وعليق الخيل قبـله بنحو خمسة عشر يوماً .

فإذا أراد الخروج من الدرعية وقفت له كتائب الخيل في الوادي ، وعنـد القصر الرجال والنساء والأطفال ينتظرون خروجه .

ثم يخرج من القصر ، ويدخل المسجد الجامع الذي عنـد قصره فيصلي فيه ويطيـل الصلاة ، فإذا فرغ من صلاته ، ركب جواده ، فلا يتكلم بكلمة إلا السلام .. حتى يأتي الموضع الذي يريد نزوله بين الدرعية والعيينة .

ويسير معه ذلك اليوم كثير من الضعفاء والمساكين والولدان وأهل الحاجة ، فيقضي حاجتهم تلك الليلة .

ثم يرحل ، فإذا سار وجد جميع المسلمين مجتمعين على مواعدهم .

فيسير بجميع المسلمين، الحاضر والباد، وينزل في المنزل قبل غروب الشمس، ويرحل قبل شروقها ، ويقيل بالهاجرة .

ولا يرحل حتى يصلي صلاتي الجمع : الظهر والعصر .

ويجتمع الناس للدرس عنده بين العشاءين كل يوم إلا قليلاً ، وعنـد كل ناحية من نواحي المسلمين .

---

(١) الكلام الموضوع بين أهلة صغيرة .. رواه ابن بشر عن لسان رجل أخبره به ..

ورتب في كل ناحية إماماً يصلي بعد الإمام الأول الذي يصلي بالعامة، فيصلي الثاني بالذين يحفظون متاع أصحابهم ويطبخون لهم في صلاتهم، وذلك لئلا يصلوا فرادى ..

فإذا قرب من العدو نحو ثلاثة أيام ، بعث عيونه أمامه ثم عـدا فلا يلبث حتى يبغتهم وينزل قريباً منهم ، فلا يوقد عنـد جميع المسلمين تلك الليلة نار ولا كأنهم نزلوا بتلك الديار .

ثم ينادي المنادي لجميع المسلمين، بعد صلاة المغرب، أن يحضروا عند سعود، فيجتمعون عنده ، ثم يقوم فيهم ويذكرهم ما أنعم الله عليهم به من الاجتماع على كلمة الإسلام ، وان سببه العمل بطاعة الله والصبر في مواطن اللقاء ، وان النصر لا ينال إلا بالصبر ، وما وعد الله الصابرين وتوعّد الفارّين المدبرين ، ويتلو عليهم قوله تعالى :

﴿ ومن يولّهم يومئذ دُبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقـــد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ .

ويزجرهم عن الظلم والغلول ، الذي هو سبب الكسر والخذلان ، وما توعّد الله من غلّ في كتابه ، وما ورد عن النبي ﷺ في ذلك من الترهيب عنه .

ويزجرهم أيضاً عن العجب بالكثرة والزيادة في النفوس ، التي هي سبب الفشل والانهزام ، ويذكرهم مـا قال الرجل في حنين : « لن تغلب اليوم عن قلة » ، حتى ولّوا مدبرين ، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين .

فإذا فرغ ، انصرفوا إلى مواضعهم ومحاطهم حتى يتبين أول الصبح ، وكان قد أمر بعض الأعراب أن يبكروا بالصلاة على أوله ويشنّ الغارة..

فإذا صلى الصبح ، ركب بالمسلمين وضجّوا بالتكبير ، وأغـــاروا ، فتظلم السماء والأرض من إثارة النقع وضجيجهم بالتكبير، فيغيب الذهن في تلك الساعة ويوقن المسلمون بالنصر ، فيوقع الله بأسه في من قصدته تلك الجموع ، فلا يرفع السيف إلا عن من لم يبلغ الحلم او امرأة او شيخ كبير ، وتؤخذ جميع الأموال .

ثم يرحل عن معارة القوم بجميع تلك الغنائم ، مع البادي والحاضر ، فينزل

قريباً منها على بعض المياه ، فيعزل الأخماس ، وتباع الغنائم بدراهم وتقسم على جميع المسلمين : للراجل سهم وللفارس سهمان .

ثم يرحل إلى وطنه ، ويأذن لأهل النواحي يرجعون إلى أوطانهم .

**مجالسه ودروسه وصلاته في الدرعية :**

وأما سيرته في الدرعية في مجالسه وفي الدرس ، فهو انه إذا كان وقت طلوع الشمس جلس النــاس من أهل الدرعية وغيرهم للدرس في ( الباطن ) المعروف ، بالموسم الذي فيــه البيـع والشراء ، إن كان في الصيف فعند الدكاكين الشرقية ، وإن كان في الشتاء فعند الدكاكين الغربية ، ويجتمع جمع عظيم ، كل حلقة تحتها حلقة ، لا يحصيهم العدّ .

ويخلى صدر المجلس لسعود وبنيه وعمه عبـد الله وبنيه ، واخوانه عبد الله وعمر وعبد الرحمن ، وأبناء الشيخ ، فيأتي أبناء الشيخ ويجلسون ، ثم يأتي عمه وبنوه واخوانه ، ويأتي كل رجل من هؤلاء بحشمه وخدمه ويجلسون عند أبناء الشيخ ، ثم يأتي أبناء سعود أرسالاً ارسالاً ، كل واحد منهم يأتي بدولة عظيمة من خواصه وحشمه وخدمه ، فإذا أقبل أحدهم على تلك الحلقة لم يقوموا لهم وهم لا يرضون بذلك ، بل كل رجل من أهل ذلك المجلس يميل بكتفه حتى يخلص إلى مكانه عند أعمامه ، ويجلس من كان معروفاً في شرف الحلقة .

فإذا اجتمع الناس ، خرج سعود من القصر ، ومعه دولة وجلبة عظيمة ، تسمع جلبتهم كأنها جلبة النار في الحطب اليابس ، من قرع السيوف بعضها بعضاً من شدة الازدحام ، لا ترى فيهم الأبيض من الرجال إلا نادراً بل كلهم مماليكه : عبيد سود ومعهم السيوف الثمينة المحلاة بالذهب والفضة .

وهو بينهم كالقمر ، تبين من فتق سحاب ، فإذا أقبل على ذلك المجلس قام له الذين في طريقه ، لئلا يطأهم العبيد ، حتى يخلص إلى مكانه ، فيسلم على الكافة ، ثم يجلس بجانب عبد الله بن الشيخ ، وهو الذي عليه القراءة في ذلك الدرس ، ويجلس أكثر من معه في طرف الحلقة ، فإذا تكامل الجمع التفت سعود للعلماء والرؤساء من المسلمين عن يمينه وشماله فسلموا عليه وردّ عليهم السلام .

ثم يشرع القارىء في التفسير ..

– حضرت القراءة في ذلك الدرس ، في تفسير محمد بن جرير الطبري ، وحضرته أيضاً في تفسير ابن كثير – .

فإذا فرغ الدرس ، نهض سعود قائماً ، ودخل القصر ، وجلس في منزل من منازله القريبة من الناس ورفعوا اليه حوائجهم ، حتى يتعالى النهار ويصير وقت القيلولة ، فيدخل إلى حرمه .

فإذا صلى الناس الظهر ، أقبلوا إلى الدرس عنده في قصره ، في موضع بناه بين الباب الخارج والباب الداخل ، على نحو خمسين سارية ، وجعل مجالسه ثلاثة أطوار كل مجلس فوق الآخر ، فمن أراد الجلوس في الأعلى أو الأوسط أو الذي تحته أو فوق الأرض اتسع له ذلك ، ثم يأتي اخوانه وبنوه ، وعمه وبنوه وخواصه ، على عادتهم للدرس ، ويجلسون بمجالسهم ، ثم يأتي سعود على عادته .

– ولا يحضر ذلك المجلس أحد من أبناء الشيخ ، لأن هذا الوقت عند كل واحد منهم طلبة علم يأخذون عنهم إلى قريب العصر – .

والعالم الذي يجلس للتدريس في هذا الوضع أمام مسجد الطريف عبد الله بن حماد ، وبعض الأحيان القاضي عبد الرحمن بن خميس إمام مسجد القصر ، ويقرأ اثنان في تفسير ابن كثير ورياض الصالحين ، فإذا فرغ من الكلام على القراءة سكت ..

ثم ينهض سعود ويشرع في الكلام على تلك القراءة ، ويحقق كلام العلماء والمفسرين فيأتي بكل عبارة فائقة واشارة رائقة ، فتمتد اليه الأبصار وتحير من فصاحته الأفكار ، وكان من أحسن الناس كلاماً وأعذبهم لساناً وأجودهم بياناً.

فإذا سكت قام اليه أهل الحوائج من أهل الشكايات من البوادي وغيرهم ، وكان كاتبه على يساره ، فهذا قاض له حاجته وهذا كاتب له شكاية وهذا دافعه وخاصمه إلى الشرع.. فيجلس في مكانه ذلك نحو ساعتين حتى ينقضي أكثرها..

ثم ينهض قائماً ويدخل القصر ويجلس في مجلسه في المقصورة ويصعد اليه كاتبه

ويكتب جوابات تلك الكتب التي رفعت اليـــه في ذلك المجلس إلى العصر ، وينهض للصلاة .

فإذا كان بعد صلاة المغرب اجتمع الناس للدرس عنده ، داخل القصر في سطح مجلس الظهر المذكور ، وجاء اخوانه وبنوه وعمه وبنوه وخواصه على عادتهم ، ولا يتخلف أحد منهم في جميع تلك المجالس الثلاثة إلا نادراً ، ويجتمع جمع عظيم من أهل الدرعية وأهل الأقطار ، ثم يأتي سعود على عادته فإن جلس شرع القارىء في صحيح البخاري ، وكان العالم الجالس للتدريس في ذلك الموضع الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ويا له من عالم نحرير وحافظ متقن خبير ، إذا شرع يتكلم على الأسانيد والرجال والأحاديث وطرقها ورواياتها ، فكأنه لا يعرف غيرهـــا من إتقانه وحفظه ، إلى وقت العشاء الآخرة .

وأمـا الصلوات المكتوبة فكان يصليها في مسجد قصره ، ويصلي معه فئام من الناس .. إلا يوم الجمعة فإنه يصلي مع الناس في مسجد الطريف ( المشار اليه ، وهو المسجد الجامع تحت القصر شماله ) في موضع بنـاه ، فوق المحراب والمنبر ، هو وخاصة مماليكه واثنان وثلاثة من خواصه ، وجعل على ذلك المصلى طريقاً من القصر يأتي اليه من قبلة المسجد عند المحراب .

وكان يقف خلفه إذا دخل في الصلاة وهو في مسجد قصره اثنان من شجعان مماليكه بسيوفهم خوفاً عليه حتى يفرغ من الصلاة ، وأما إذا كان في مغازيه وحججه ، فكان إذا دخل في الصلاة أوقف ستة من شجعان مماليكه بسيوفهم : اثنان عنـــد وجهه ، واثنان خلفه بينه وبين الصف الثـاني ، واثنان خلف الصف الثاني .

**حبه لسماع القرآن :**

وكان يحب أن يسمع القرآن من غيره ، فكان في مغـازيه وحججه .. يأمر رجلاً من طلبة العلم وحفـاظ القرآن حسن الصوت جهيراً مجوداً يتـلو .. سورة

من القرآن .. حتى يفرغ منهـا فيأمره بقراءة سورة أخرى .. ويفعل ذلك في الدرعية أيضاً ..

**ضيافته :**

وأمـا سيرته للضيف فذكر لي ان خازنه يخرج لضيفه كل يوم خمسمائة صاع من البر والأرز ، وكان المضايفي الموكل بالضيف يدعو أضيافه للعشاء من بعـد الظهر إلى بعد العشاء الآخرة ، وكان أول داخل طعامهم اللحم والأرز والخبز ، والذي بعدهم قريب من طعامهم والباقي حنطة خالصة ..

وأما الغداء فمن طلوع الشمس إلى اشتداد النهار ، على مراتبهم في العشاء .

**عطاؤه وصدقاته .. أقل من أبيه :**

وأما عطاؤه للرعية وبثه الصدقة فيهم ، فليس لي بها معرفة إلا قليل ، وكان يرسل في كل زمان إلى أهل كل ناحية وبلد صدقة ألف ريال وأقل وأكثر لكل ناحية أو بلد ، وتفرق على ضعفائهم وأئمة المساجد والمؤذنين وطلبة العلم ومعلمي القرآن .

وهذا دائم، في زمنه وزمن أبيه عبد العزيز ، وهو في زمن عبد العزيز أكثر من ذلك ، حتى ان عبد العزيز يرسل دراهم يشترى بها قهوة لأهل القيـام في رمضان في المساجد في جميع البلدان ..

وكان إذا دخل رمضان سار مساكين أهل نجد وكل أعمى وزمن ونحوهم وقصدوا الدرعية ، فكان سعود يدخلهم كل ليلة للعشاء والإفطار عنده في القصر ، مع كثرتهم ، ويعطي كل رجل منهم جديدة وهي في تلك الأيام خمس ريال .

فإذا دخلت العشر الأواخر أدخلهم ارسالاً كل ليلة يكسي منهم جملة، يعطي كل مسكين عباءة ومحرمة وجديدة ، فإذا فرغت العشر فإذا هو قد كساهم كلهم إلا نادراً .

وذكر لي رجل كان عندهم في القصر يعلم القرآن ، قال : « كان سعود في آخر ولايتـه يجمع المساكين يوم سبع وعشرين من رمضان ويدخلهم في قوع

الشريعة ، المعروف في قصره ، ويفرق عليهم كسوتهم المذكورة كل رجل على عادته » ، قال : وهم نحو ثلاثة آلاف رجل .

**خيوله وفرسانه ومماليكه :**

قال : وملك من الخيل العتاق ألفاً وأربعمائة فرس ، يغزو معه منها ستمائة فرس يركبها رجال انتقاهم من شجعان البوادي وشجعان مماليكه وغيرهم .. ومماليكه الذكور أكثر من خمسمائة مملوك ، وقال غيره : ستمائة ، وقال آخر : إن مماليكه ألف .. والذي يظهر من القصر آخر رمضان ألف وثلاثمائة فطرة عن خدمه وعبيده وما في قصره من الأيتام .

**الأمان :**

وأما أمان الرعية ، فتقدم بيانه في ترجمة عبد العزيز .. وكان الراكب والراكبان والثلاثة يسيرون بالأموال العظيمة من الدرعية والوشم وغيرهما من من النواحي إلى أقصى اليمن وينبع البر والبحر وعمان وغير ذلك لا يخشون أحداً ، إلا الله ، لا مكابراً ولا سارقاً .

.. جلس يوماً فيصل بن وطبان الدويش ، رئيس اعراب مطير ، والحميد بن عبد الله بن هذال رئيس بوادي عنزة — وكان هؤلاء من أشد البوادي عداوة بعضهم لبعض — عند سعود في صيوانه .. وتنازعا بين يديه وتفاخرا وأظهرا نخوة الجاهلية ، فقال أحدهما لصاحبه :

— أحمد الله على نعمة الإسلام وسلامة هـذا الإمام ، الذي أطال الله عمرك بسببه ، وكساك الشيب بعد أن كان آباؤكم لا يشيبون ولا ينتهون إلى حده ، بل نقتلهم قبل ذلك .

وقال له الآخر :

— أحمد الله على نعمة الإسلام وسلامة هذا الإمام ، الذي كثر الله بسببه مالك وسلم عيالك ، ولولا ذلك لم تملك ما هنالك ، ولا نزلت في تلك الديار ولا استقر بك فيها قرار .

فانتهض سعود ، وزجرهم ، وذكّرهم مـا أنعم الله عليهم به من الإسلام

والجهاد والجماعة والاجتماع على الصلوات والدروس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما أعطاهم الله في ضمن ذلك من الأموال وكثرة الرجال ، وأمان السبل .. وان الرجل من البوادي وغيرهم يترك خيله وابله في أي موضع شاء لا يخشى عليها إلا الله تعالى .

فانكفوا عما هم فيه وتراجعوا الحديث فيما بينهم ، وشكروا الله تعالى على ما أعطاهم وأولاهم من النعم ، وأزال عنهم من الظلم والجور والقتال والعدوان والإثم ..

**الموارد المالية من الزكاة وغيرها :**

**وصول عمال سعود الى بوادي مصر :**

وأما عماله الذين يبعثهم لقبض زكاة الابل والغنم من بوادي جزيرة العرب مما وراء الحرمين الشريفين وعمان واليمن والعراق والشام ، وما بين ذلك من بوادي نجد ، فذكر لي بعض خواص سعود ممن قد صار كاتباً عنده ، قال :

كان يبعث إلى تلك البوادي بضعاً وسبعين عاملة ، كل عاملة سبعة رجال ، وهم : أمير وكاتب وحافظ دفتر وقابض للدراهم التي تباع بها ابل الزكاة والغنم وثلاثة رجال خدام لهؤلاء الأربعة لأوامرهم وجمع الابل والأغنام المقبوضة في الزكاة وغير ذلك — وذلك من غير عمال نواحي البلدان من الحضر لخرص الثمار وعمال زكاة العروض والأثمان وغير ذلك .

وأخبرني ذلك الرجل :

ان سعوداً بعث عماله لبوادي الغز ، المعروفين في ناحية مصر .

وبعث عماله أيضاً لبوادي يام في نجران .

وقبضوا من الجميع الزكاة .

قال : وأتى عمال آل فدعان ، المعروفين ، من بوادي عنزة بزكاتهم ، بلغت أربعين ألف ريال ، من غير خرج العمال ، وثمان أفراس من الخيل الجياد .

وهذا أكثر ما تأتي به العاملة من تلك العمال كل سنة ، وأقل مـــا تأتي به العاملة من أولئك العمال المذكورين ثلاثة آلاف ريال وألفين ونصف .

قال :

والذي يأخذ سعود على بندر اللحية ، المعروفة في اليمن ، مائة وخمسين ألف ريال ، وهو لا يأخذ إلا ربع العشر ، ومن بندر الحديدة نحو ذلك ..

ويأتي من بوادي عنزة أهل خيبر شيء كثير .

والذي يحصل من بيت مال الأحساء يقسم ثلاثاً :

ثلث يدخره لثغوره وخراجاً لأهلها والمرابطة فيه .

وثلث خراجاً لخيالته ورجالته ونوابه وما يخرجه لقصره وبيوت بنيه وبيوت آل الشيخ وغيرهم في الدرعية .

وثلث يباع بدراهم وتكون عند عماله لعطاياه وحوالاته .

ويحصل بعد ذلك ثمانون ألف ريال تظهر إلى الدرعية .

قلت :

وأما غير ذلك مما يجيء إلى الدرعية من الأموال من القطيف والبحرين وعُمان واليمن وتهامة والحجاز وغير ذلك ، وزكاة ثمر نجد وعروضها وأثمانها ، لا يستطيع أحد عدّه ولا يبلغه حصر ولا حدّ ، وما ينقل اليها من الأخماس والغنائم أضعاف ذلك .

**أقوال الشعراء فيه :**

ويذكر ابن بشر ان الشعراء قالوا في مدح سعود في حياته ورثائه بعد وفاته شعراً كثيراً لا يسعه كتاب ، ويكتفي بإيراد ثلاثة أبيات من قصيدة طويلة قالها فيه شاعر عماني ، وهي :

« إذا جزت باب السيف تلقاه فارساً     وإن جزت باب العلم تلقاه عالما
وإن جزت باب الخوف تلقى مخافة     وإن جزت باب السلم تلقى مسالما
وإن جزت باب الدين تلقى ديانة     وإن جزت باب الحكم تلقاه حاكما »

وكان يحرص على بقاء الناس جلوساً أثناء مروره أو جلوسه ..

وكان أولاده يختلطون بالجمهور في مجلسه ، ولكنه ما كان يسمح لهم بالكلام في حضرته ، وما كان يأذن لهم بالتدخل في الشؤون العـــامة ، مع محبته لهم ورقّته عليهم .

**موارده المالية :**

يبالغ بعضهم في تقدير موارد سعود الماليـــة ، ولكن أحد العارفين من الوهابيين قدّرها بين مليون ومليون ونصف المليون من الريالات .

**تسامحه في التجارة :**

كان سعود يمنع الوهابيين من السفر ( أو التجارة .. ) إلى بلاد المشركين وأصحاب البدع ، ولكن أهل نجد مـــا كانوا يستطيعون الاستغناء عن المتاجرة مع بغداد ودمشق ، فاضطر سعود إلى التغاضي والتسامح ..

وكان سعود يكره أن يسعّر البضائع .

**خيوله :**

كان عنده ( ٢٠٠٠ ) فرس ، منها ٤٠٠ في الدرعية ، وكان عنـــده أيضاً عدد وافر من الهجن وعند كل واحد من أولاده عدد من الأفراس ..

**طعـــامه :**

كان يقدم الطعـــام كل يوم إلى خمسمائة رجل ، والطعام هو الأرز ولحم الغنم والبرغل ، والتمر .. ويقال انه ينفق على ذلك كل سنة بين ١٠ و ١٢ ألف جنيه انكليزي .

**أصبح بخيلاً .. َشرِهاً الى المال :**

أصبح سعود ، في أواخر ولايته وعمره ، بخيلاً وشديد الحب للمال والطلب له ، وهذا ما جعل بعض العشائر تنفر منه ..

ولو أنه أنفق أمواله بسخاء ، كما فعل محمـــد علي باشا ، َلما استطاع هذا أن يستميل اليه القبائل وينتزع منه البلدان ..

**حكومة سعود :**

الحكومة حكومة نخبة .. على رأسها أسرة آل سعود .

وقد قسمت البلاد أقساماً ويتولى الحكم في كل قسم حاكم ( أمير ) ، وإذا كانت المنطقة كبيرة ُقسمت هي أيضاً بين عدة حكام و ُيجعل عليهم أمير .

وأهم المناطق التي يديرها حكام هي : القصيم وجبل شمر والحرمين - أي مكة والمدينة - والحجاز (أي الطائف والمرتفعات) واليمن (عسير وتهامة ..)

أما العارض والحسا فقد احتفظ بهما سعود لنفسه ..

ينفذ حكام البلدان أحكام القضاة ، وقد يستطيعون فرض غرامة أو حبس ، ولهم عدا ذلك سلطات مختلفة ،وربما تشكى سكان المنطقة من تصرفات حكامهم فترفع شكاواهم إلى سعود ، ولذلك يفد المراجعون كل يوم على الدرعية ..

إن زعيم الوهابيين قد يبدو حاكماً مستبداً ، ولكن الذي يعرف التقاليد العربية يعلم أنه ملزم بمراعاة الحكام وشيوخ العشائر حتى لا يتعرض لنقمتهم وقيامهم عليه .

**الجيش والحرب :**

في حالة الحرب يقدم حكام المناطق إلى الدرعية ويعقدون برئاسة سعود مجلساً ..

أما في أوقات السلم فلا يستشير سعود إلا أهل الدرعية ، وخصوصاً أسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ويسمون هذه الأسرة : ( أولاد الشيخ ) ، وسعود يستشيرهم في كل المسائل المهمة .

ليس هناك جيش دائم .. فبعد انتهاء المعارك يعود كل مقاتل إلى بلدته وداره ، ما عدا مئات معدودة من المقاتلين اتخذهم سعود حرساً خاصاً له، فهم في خدمته بصورة دائمة موصولة، وكلهم من الفرسان الشجعان، وكلما سمع سعود بشجاع استدعاه اليه وضمّه إلى حرسه ، وربما سموا هذه الفرقة : « المنجية » ..

متى صمم سعود على الحرب أبلغ العشائر والبلدان قراره ، فتقوم كل عشيرة بتجهيز عدد من رجالها ويجتمعون في المكان المحدد لهم ..

وأسلوب « المفـاجأة » هو الاسلوب المفضل في حروب سعود ، فهو يعلن عزمه على السير إلى جهة يعينها ، ثم يتحول عنها فجأة إلى غيرها حتى لا يعرف بها عدوه فيستعد له ..

تتقدم الجيش الوهابي دائماً طليعة تتألف من أربعين رجلاً ، وقـد تسبقه بيوم .. وتسمى : ( السبر ) ..

ينقسم الجيش ، عند خوض المعارك ، إلى ثلاثة أقسام أو أربعة ، يتلو بعضها بعضاً ، ويبدأ بالهجوم الفرسان ثم راكبو الهجن .

ومن أساليب سعود التظاهر أحياناً بالفرار أمـام العدو ، ثم العودة فجأة لمهاجمته ، وهو في حالة تعب من الملاحقة وعدم انتظار للمعركة ..

إذا استسلم الخصوم قبل البدء بالقتـال أعطاهم سعود الأمان على أموالهم ، باستثناء الحلقـة – أي السلاح – وأحياناً يعطيهم الأمان كاملاً فلا يأخذ منهم شيئاً .

ومتى خضعت له بلدة ولّـى عليها شيخاً من أهلهـا ، ولا يترك في البلدان المفتوحة حاميات إلا في حالات قليلة ..

كان سعود ، في شبابه ، يقود المعارك بنفسه ويمشي في مقدمة الصفوف ، ولما كبر صار يشرف على الحروب من بعيد ..

**أولاد سعود :**

أنجب سعود من زوجته الاولى ، التي توفيت في حيـاته ، ثمانية أولاد ، أكبرهم من الأحياء : عبد الله .

وأشهر إخوة عبد الله : ( فيصل ) ، وكان يُعَدّ أجمل فتى في الدرعية ، وأحب الأمراء إلى الناس ..

وكان سعود يعز من أولاده ( ناصر ) الذي مـات في معركة ضد جيش مسقط ، و ( تركي ) الذي حارب في العراق وجهات الشام .

ومن أولاد سعود : عمر ، إبراهيم ، فهـد ، وكذلك خالد ومشارى .. وغيرهم ..

وكان سعود رقيقاً مع أولاده ، خصوصاً الأطفال منهم ، ومن دلائل رقته أن زوجة ابنه فهد دخلت مع ابنها الصغير إلى مكان قريب من الكعبة ، وكان الإمام سعود واقفاً هنـاك مع جماعة من المطوفين والأعيان ، فما كان منه إلا أن حمل حفيده الصغير وضمّه إلى صدره وأخذ يقبّله ..

وكان عند سعود إلى جانب الزوجات عدد من الجواري، وكان يعهد برضاع أولاده إلى حبشيات .